" المويلح" محطة على طريق الحج المصري المغربي في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي

د/ دعاء عبد الرحمن علي/ كلية الآداب / جامعة حائل/المملكة العربية السعودية
doaaalimohamed@gmail.com

ملخص

"المويلح" أو "النبك" ذات المياه العذبة أحياناً والمالحة أحياناً أخرى، إحدى محطات طريق الحج المصري المغربي والتي كانت مرحلةً هامة ومقصداً في حد ذاتها للمارين ،فقد كانت محطة تجاريه تزود الحجيج بالمؤن والزاد وما من شأنه أن يعينهم على إكمال طريقهم وذلك عن طريق ما كانوا يقومون به من تجارة مع سكان تلك المنطقة ومع التجار القادمين إليها من المناطق المجاورة لا يدفعهم إليها سوى هدف الاتجار مع ركب الحجيج في سوقها العامر بجوار قلعتها ،كما كانت مستودع آمن لحاجياتهم لحين العودة من رحلتهم ، كما وفرت تلك المحطة قدراً كبيراً من الأمان على طريق لا يخلو من المخاطر من خلال الحامية الموجودة بها والتي حرصت السلطات السياسية التابعة لها على توفيرها فكان ذلك من مقومات النشاط الاقتصادي لسكانها والذي تنوع ليشمل بالإضافة إلى التجارة الزراعة والصيد مما كان سببا في توفير الكثير من سبل العيش لسكان المويلح فكان عاملاً على زيادة التوسع العمراني فيها والذي لم تخفيه كتابات من زارها من الرحالة فانعكس ذلك على قلة أو انعدام مخاطر الأعراب من قاطني الصحراء المجاورة من التعرض لقوافل الحج بالسلب والنهب والتي كانت من الأشياء المعروفة على مثل تلك الطرق ، كما انعكس ذلك على الوضع الاقتصادية لبلدة المويلح فلم يكن بها مثل تلك المكوس أو الضرائب التي كانت تدفع في غيرها من المحطات ،كل ذلك جعلها من أهم محطات طريق الحج المصري المغربي .

الكلمات المفتاحية

المويلح – النبك – ركب الحج المغربي – طرق الحج القديمة – محطات

Abstract

"Moelh"or "nobk" with Freshwater sometimes and sometimes salty one of the important stage and a destination in itself for Marin were commercial plant supplying pilgrims with supplies and supplies and would be appointed by the complete their way through what they were doing from the trade with the inhabitants of that region and with traders coming from neighboring areas are not only driven by the goal of trading with pilgrims rode in the market next to the castle, as it was a safe repository for their belongings until they return from their trip, and provided that station a great deal of safety on the road is not without its risks through the garrison in them and that took care of its political authorities to be provided and that was from the elements of the economic activity of the population and that diversity to include in addition to agriculture, trade and fishing, which was the cause of saving a lot of livelihood for the people of Moelh factor was the increasing urbanization where and who did not hide from the writings of the travelers had That reflected little or no risk of the Bedouins of the residents of the neighboring desert from exposure to convoys pilgrimage looting, which was well-known on such roads things, as

reflected on the economic situation of the town Moelh was not by such tolls or taxes that were paid in the other stations, all of that made it one of the most important by the Moroccan Egyptian Hajj stations.

key words

Al Muwailah - Al Nabek - Riding the Moroccan Pilgrimage - Old Pilgrimage Routes - Stations

مقدمة:

تعددت طرق الحج التي كانت تحمل حجاج بيت الله الحرام من مختلف الأصقاع لتصل بهم إلى المشاعر المقدسة فكان طريق الحج المغربي والمصري والشامي والعراقي وغيرها من الطرق، و تعددت وتنوعت المحطات التي وجدت على تلك الطرق وكان لكل منها سماته وطبيعته التي اختلفت من واحدة للأخرى فمنها من تميز بطيب المقام ومنها ما كان يحمل بين جنباته مشاق وآلام عاني منها المسافرون والعابرون عليها، و لكل منها أهميته وضرورته كمرحلة ومحطة من مراحل إتمام الطريق ، ونحن في هذا البحث نحاول إسقاط الضوء على محطة مهمة في طريق الحج المغربي والمصري على السواء – حيث كان غالبا ما يلتقي الركبان في القاهرة ليخرجا منها سالكين نفس الطريق عبر ميناء القلزم (السويس الآن) ومنها إلى البحر الأحمر حيث "المويلح " –موضوع البحث– ومنها إلى جده ثم مكة .

ويبدو أن "المويلح " تبوأت مكانة هامة على طريق الحج المصري المغربي منذ القدم وإن زادت تلك الأهمية بعد تحول طريق الحج بشكلٍ كاملٍ إلى الطريق الساحلي الذي يمر بها وأهمل الجزء الداخلي منه خاصة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي

وهو ما يدل عليه كثرة إشارات الرحالة المصاحبين لركب الحج في كتاباتهم، ومع كثرة تلك الإشارات إلا أن المعلومات التي أوردوها كانت من القلة بما كان، مما كان دافعا للبحث عن المزيد من المعلومات عنها وتقديمها لتظهر لنا تلك المحطة في صورة كاملة،وزادت أهمية المويلح كمحطة على طريق الحج بعد تحول الطريق بشكل كامل إلى الطريق الساحلي الذي يمر بها وأهمل الجزء الداخلي منه[1] مما كان له أثره على النمو الاقتصادي والعمراني لها فأعطاها أهمية كبيرة بالنسبة لركب الحجيج وليس من دليل على دور طريق الحج في ازدهارها إذا ما قارنا وضعها بوضع بلدة مثل "بدا" على نفس طريق الحج ولكن في الجزء الداخلي منه والتي أهملت وكادت أن تندثر بمجرد تحول طريق الحج عنها إلى الطريق الساحلي[2] ذلك الإزدهار الذي انعكس فيوصف العياشي في رحلته للركب الذي كان مصاحبا له "بأنه كان في المويلح في أرغد عيش"[3].

أ . الإطار الجغرافي للمويلح: المويلح هي قرية تابعة لإمارة منطقة تبوك. بالمملكة العربية السعودية تقع على ساحل البحر الأحمر من الشمال لمدينة ضبا والتي تبعد عنها قرابة 40 كيلومتر. كانت قديما مدينة وميناء هام على ساحل البحر الأحمر، حيث كان يمر بها الحجاج القادمين من بلاد المغرب ومصر في طريقهم إلى الأراضي الحجازية. وتصرف لهم المئونة من وكيل القلعة والتيدمرت بواسطة بارجة إنجليزية خلال الحرب العالمية الأولى[4]. وهي المنزل الرابع من منازل ركب الحج المغربي في أرض الحجاز بعد "عش الغراب "، "أم العظم "، "مغائر شعيب "، "عيون القصب" بعد أن يغادر ركب الحجيج الأراضي المصرية وبعدها العقبة ، والطريق إليها يسير بين جبال وكهوف ومنحدرات متعددة و محاطب شجر[5] وكانت تسمى " النبك" كما ذكرها الجزيري[6] ووصفها الرحالة المغاربة بأنها محطة بجانب البحر[7] كما وصفوها بأنها ثغر حسن ترسو فيه المراكب القادمة من "السويس" و"جده "و"القصير" فالسفن تأتيها من مصر باعتبارها من أهم منازل طريق الحج إلى

الحجاز ، كما أن السلطات المصرية كانت تشجع الناس على الاستيطان بها لأعمارها ولتبقي عامرة عند مرور ركب الحج[8] ومن أهم معالم المويلح وتضاريسها الجغرافية جبل "شار العظيم" الذي يراه الحجاج على يسارهم ممتدا أكثر من 20كيلو متر[9] وهو العلامة على وصولهم إلى ميناء المويلح .

وكان التشجيع على الاستيطان من قبل السلطات الحاكمة في تلك المناطق لتوفير سبل السلامة للحجيج وتوفير الأماكن اللازمة لإقامتهم ومئونتهم حتى الوصول إلى المشاعر المقدسة ويعودوا منها إلى بلادهم سالمين حيث بلغ الدرب الساحلي الذي تحتل المويلح أحد مراحله ذروته من حسن التنظيم وفخامة المركب وعدد الحجاج في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي[10] كما أن وجود مثل تلك المناطق المأهولة بالسكان على طريق الحج توفر لهم نوع من الأمان وخاصة من هجمات الأعراب والتي كثيرا ما كانت تتكرر ولكن مع توفر سبل العيش لهم تقل أو تنعدم تلك الهجمات وذلك ما تم تحقيقه في المويلح فأغناهم ذلك عن التعرض لركب الحجيج[11] مما انعكس على توفير الكثير من نفقات الحج في تلك الفترة و التي كانت جزء ليس بالقليل منها يتم إدراجه تحت بند الغفارة.

ب . سبب التسمية : كانت تعرف المويلح قديما بـ"النبك " وتشتهر بملوحة آبارها فتحول اسمها إلى المويلح قال العمري[12] "..... النبك ويسمى المويلحة وهو على ساحل القلزم ويرد ماؤها وهو ملح رديء لا يكاد يسيغه الشارب ومنَ شِربه أفرط به الإسهال لشدة ما به من البورقية والملح...."وقال موسل[13] ".....المويلح وتعني الملوحة الخفيفة وهو اسم يرجع إلي أصل حديث اشتق من الوصف الذي كانت توصف به العيون التي تقع في هذا المكان وكانت على شئ من الملوحة فعلا....." وهناك من ذهب إلى إن الاسم اشتق من املح بمعنى السواد[14] وان كانت هناك مواضع كثيرة بالقرب من المويلح سميت إما

حسب لون أرضها أو جبالها، إلا أننا نرجح أن الاسم اشتق من الملوحة نسبةً إلى العيون التي كانت تجري في هذه الأرض لان الاسم يشتق من السمة البارزة للمكان وسمة المويلح في ذاك الوقت هي العيون المالحة[15].

ج . أنماط السكان: يمكن تقسيم عناصر السكان إلى سكان دائمون وهم سكان المويلح من الحامية التي تقيم بها وأهليهم والسكان المزارعين للنخيل والبساتين بها وان كان عددهم في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي يتراوح ما بين المائة ومائة وخمسون أسرة يعيشون في أكواخٍ من الطين والحجارة[16] وكذلك أهل المنطقة والمناطق المجاورة من الأعراب كما شهدت العديد من السكان الوافدين، وكان من الوافدين المترددين على ميناء المويلح النصارى من القاطنين بجبل الطور بمصر والذين يقصدون المويلح قبيل موسم الحج مباشرة للاتجار في بضائعهم التي يحملونها معهم من مصر مثل الدقيق والفول والفواكه[17] كما رصدت لنا العديد من كتب الرحالة وجود المغاربة المستوطنين لتلك المنطقة[18].

د . مقومات الحياة في المويلح: من خلال حديث الرحالة الذين مروا بالمويلح مصاحبين لركب الحج ومن خلال ما رصدوه عنها تبين أن تلك المدينة تمتعت بقدر كبير من مقومات الحياة التي تساعد وتشجع على العيش فيها والاستقرار، فقد تمتعت بوضع سياسي مستقر– حيث كانت تتبع سياسيا السلطة المملوكية في مصر ومن بعدها العثمانية وهو ما أكد عليه كثير من الرحالة وكان من الأشياء التي جذبت انتباههم فأشاروا إليه بشكل متكرر[19] كما اهتم حكامها بتحصينها حيث بنيت بها قلعة كبيرة مربعة الشكل وهي قلعة مبنية من الصخور الجيرية[20] و بها أربعة أبراج وفيها سبع وأربعون مدفع شحنت مؤن بنائها وآلاتها الدفاعية برا وبحرا من مصر[21] وتوفرت فيها المياه عصب الحياة حيث أشار الرحالة إلى وجود بئران فيها وإن ذكرا أنهما قليلي العذوبة[22] في حين

وصفها البعض الأخر من الرحالة بأنها عذبة المياه[23] وإن كان تفسير ذلك يرجع إلي تذبذب كمية المطر من سنة إلى أخرى مما يؤثر في عذوبة مياه الآبار كما أشاروا إلى أنه تم حفر خمسة أبار أخرى ،مما حذا بهم إلى الإشادة بكثرة أبارها[24] كما أشاروا إلى كثرة نخيلها و بساتينها[25] وأكدوا على عظم منفعتها للحجاج خاصة مع الاهتمام بها وبالطريق الواصل إليها حيث حفرت الآبار فيه[26].

هـ . النشاط الاقتصادي لسكانها:

1 . الصيد: نظرا لموقع المويلح على البحر مباشرة فلابد من أن يمتهن العديد من أهلها مهنة الصيد وهو ما أشار إليه الرحالة حيث رصد العديد منهم وجود مراكب للصيد وعليها الصيادون يقول الجزيري ".....و بها صيادون للسمك في قوارب لطاف ....."[27].

2 . الزراعة: بالرغم من قلة عدد سكان المويلح إلا أن من زارها من الرحالة أشار إلى وجود مزارع للبطيخ والعنب وبعض المزارع الصغيرة للخضروات – وان لم تكف حاجة سكانها– بالإضافة إلى الكثير من أشجار النخيل المنتشرة حول القلعة[28].

3 . التجارة: احتلت التجارة النشاط الرئيسي لسكان " المويلح " باعتبارها من أهم المنازل و الموانئ التي يرد إليها ركب الحج المغربي والمصري وكانت تأتيها البضائع المجلوبة مع الحجاج مثل الفول والدقيق والفواكه من طور سيناء ،ويبيع أهلها من الأعراب الحطب والعلف والسمن والتمر على الركب وفي إشارة إلى ذلك يذكر صاحب كتاب الدرر[29]".....ويجلب إليها الدقيق والفول والفاكهة من الطور في جرب بصحبة النصارى للبيع على الحجيج ويحصل بذلك رفق للركب ويوجد بها الحشيش لعلوفة الجمال والأغنام...." فقد كانت المويلح مدينة تجارية من الطراز الأول عمل أهلها بالتجارة مع الحجاج يشاركهم في ذلك الأعراب من المناطق المجاورة، والذين يأتون إليها للمقايضة

بأغنامهم مع الحجيج على الملابس والدقيق والحبوب[30] حيث توفرت لها كل مقومات التجارة من حيث الموقع على البحر الأحمر واهتمام أميرها بها وبتوفير حامية عسكرية قوية قادرة على حماية المدينة وحماية الحجاج وأموالهم حتى أن الحجاج كانوا يتركون مايزيد عن حاجتهم من السلع مثل الفول على سبيل الأمانة لحين العودة من المشاعر المقدسة[31] فقد كانت على حد وصف الرحالة لهامرسى" آمن شاهد الرحالة فيه السفن ذاهبة وآتيه"[32] ومما شجع التجار والحجاج على النزول إليها عدم إرغامهم على دفع أي مكوس أو ضرائب بها مثلما كان الحال في ميناء جده مثلاً[33] حيث لم تذكر لنا كتب الرحالة أي مراصد لجباية الضرائب وإن تمت الإشارة إلى ما يسمى بعوائد العرب[34] في كتابات الجزيري وهي عبارة عن صرة من الأموال المقدرة التي تدفع للقبائل العربية على طول الطريق وفي محطاته المختلفة نظير الخفارة وتجنب أخطارها[35](35) ولم يرد ذكر للمكوس الجمركية وتحصيلها في ميناء " المويلح " في كتابات الرحالة المغاربة ، في حين أنه قد أشير إلى ذلك وبقوة عندما تحدث الرحالة عن ميناء "ينبع" مثلا وهو من موانى البحر الأحمر أيضاً وقالوا أن واردات ينبع من الرسوم الجمركية قد بلغت مبلغا كبيرا وكان جزء منها يذهب إلى أميرها وجزء يذهب إلى أمير مكة مما يؤكد الأهمية الاقتصادية لتلك الرسوم لكلا الأميرين[36] وهو ما لم يتم الإشارة إليه عند الحديث عن " المويلح" .

3 . 1 . أنواع التجارات :يمكن تمييز التجارات التي قامت في ميناء المويلح إلى نوعين على حسب أنماط المتاجرين.

أولاً : تجارة الحجيج مع أهالي المويلح والمناطق المجاورة من الأعراب:وتلك التي كان يقوم بها أهالي ميناء المويلح و الأعراب القاطنين على طريق الحج حيث أنه كثيرا ما كان يأتيها الأعراب من مناطق بعيدة في موسم الحج ليبيعوا على الحجيج منتجاتهم من السمن والصوف والتمر والقرب وملابس الإحرام والنعال[37] وتلك التجارة تنشط بشكل خاص

في موسم الحج حيث يتم المتاجرة مع الحجيج أثناء رحلتهم ذهاباً وإياباً، فيقوم الأعراب بعرض بضائعهم على الحجيج ،فكان ذلك يمثل أهمية بالغة لركب الحج لتزويدهم بما يحتاجونه من مؤن قد نفذت منهم أو تعويض نقص لديهم[38].

ثانياً : تجارة الحجيج مع التجار من الخارج :أمثال تجار الشام و غزة ومصر والذين كانوا يسبقون ركب الحجيج للالتقاء به في المويلح وعرض بضائعهم عليه والتي كانت تضم جميع أنواع السلع والمؤن الغذائية[39] مما كان يسبب رواجا هائلا في الميناء ينعم به أهالي الميناء والقادمين عليه، وكان من الملاحظ أن التجار يرفعون الأسعار في البدايةُ ثم يخفضونها إذا بيع الكثير من بضائعهم فيحصل بذلك رفق وازدهار في أسواق المويلح[40] ولذلك فإننا كثيرا ما نرى إشارات الرحالة خاصة المغاربة في كتاباتهم إلى الأزمات التي قد يتعرضون لها إذا حدث و اختلفت مواعيد وصول الركب عن الأوقات التي يتواجد بها التجار للمتاجرة ما يؤدي إلى عنت كبير وغلاء بالأسعار وموت للدواب[41] وأيا كان من أمر فإن التجارة في ميناء المويلح قد قامت وارتبطت بشكل كبير بمرور ووجود ركب الحج بها باعتبارها مرحلة ومحطة من محطات الطريق[42] و كما مثل "ميناء المويلح " محطة مهمة في طريق الركب ظهرت المنفعة المتبادلة بصورة واضحة حيث استفاد سكان المويلح من وجود مثل تلك التجارات في توفير احتياجاتهم ، وكذلك تحقيق ألوانا من الربح عن طريق الاتجار مع الحجيج من ناحية والاتجار مع تجار الشام وغزة ومصر من ناحية أخرى ، والذين يأتون إليها في ذلك الموسم الهام ، وإن لم تقتصر التجارات الخارجية عليهم إن جاز لنا التعبير، فقد رصدت الرحلات المغربية قيام أمير الحج المصري بحمل أنواعا من البضائع معه للاتجار بها في محطات الركب ومع أهالي الحجاز[43] ويجب الإشارة هنا إلى أنه في الحالتين فإن نصيب الحجاج من البيع والشراء وممارسة حرفة التجارة ليس بالقليل ، فكثيرا ما ذكر أن الحجيج يحملون معهم العديد من البضائع التي يبيعونها على أهالي

المناطق التي يمرون عليها ويهدفون من وراء ذلك توفير نفقات الحج من الأرباح التي قد يحصلونها في تجارتهم وذلك على حسب ما ذكره الحضيكي[44] كما أن أبي مدين قد أشار إلى أنه أتى مع ركب الحجيج بتجارة له باعها على أهالي البلاد التي مروا عليها وانه اختص بجزء منها أهالي الحجاز[45]

4 . بعض الأنشطة الأخرى مثل الكراء: ومن يشتغل بهذه المهنة هم من الأعراب حيث تم إكرائهم لحمل البضائع وخاصة الفول من مصر إلى المويلح ومنها إلى ينبع في طريق الذهاب ثم منها إلى العقبة في طريق العودة[46].

و . سوق المويلح: كان يقام سوق كبير أمام باب قلعة المويلح الشمالي وعلى بعد 200 ياردة منها[47] يقول عنه البكري (..... وإلى سوقها تساق نفائس البضائع.....)[48] فقد كان يضم جميع احتياجات الركب والتي كانت تأتي عبر المراكب في البحر من مصر ومن جده بالإضافة إلى ما يحضره الأعراب الذين يتجمعون من حول المويلح ومن مناطق بعيدة عنها لبيع السمن والعسل والضأن والبطيخ[49] يقول صاحب الرحلة الناصرية ".. على باب الحصن سوق كبير يوجد فيها غالب المحتاج وفيه مقاتي كثيرة من دّلا ع وبطيخ وغير ذلك و به مرسى حسنة تنزل به السفن القادمة من سويس والقادمة من جدة والقصير..."[50] وتأتي إليه بعض المراكب الصغيرة والتي تأتي لغرض شراء بعض المؤن والماء الصالح للشرب[51] وقد تحدث العديد من الرحالة عن أسعار السلع والتي كانت تتفاوت بين الزيادة والنقصان[52] ويلاحظ أن هناك بعض العوامل التي من شأنها التحكم في أسعار السلع المعروضة منها مقدار تلك السلع سواء أكانت المجلوبة مع الحجيج أو تلك التي يأتي بها الأعراب لعرضها على الحجيج وكذلك كمية المطر التي تنزل في كل سنة ، فتكاد تجمع المصادر على رخص الأسعار في السنوات التي يكثر فيها المطر لما له من تأثير على الحياة الزراعية وتربية الحيوانات وغير ذلك[53].

ز . التوسع العمراني للمويلح : رصد الزائرون لميناء المويلح من الرحالة الأوربيين وغير الأوربيين، خاصة في القرن الثالث عشر الهجري /التاسع عشر الميلادي وجود العديد من المنازل القديمة ومسجد وقلعة حربية، كانت في الأصل برج بناه المماليك، وفي عصر الدولة العثمانية تم تحويل البرج إلي قلعة وذلك في عام 967 هـ / 1559 م خلال حكم السلطان سليمان القانوني[54] ولعلنا هنا نستشهد بالجزيري فقد كان معاصرا لبناء القلعة وقد ذكر " انه في عصره أمر باشا مصر علي أغا عام 967 هـ / 1559 م ببناء حصار كبير(قلعة) و أسنده إلى الأمير قيت بن عبد الله الداوودي " لحفظ أموال التجار والرعايا وردعا لأهل الفساد والبلايا" ووضع به 47 مدفعا وحفر بئرا جعلها وقفا للسلطان العثماني وبئرا أخرى وقفا له ثم بئر ثالثة إضافة إلى بئرين قبل وجود القلعة بناهما المماليك فتم خمسة آبار[55] ومن خلال تتبع ورصد ما ذكرته كتب الرحالة عن العمران وعدد المنازل التي وجدت في المويلح من القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ،نستخلص أن العمران بها كان في ازدياد[56] وكانت المويلح محل اهتمام السلطات العثمانية في مصر على حد قول الرحالة المغربي النابلسي الذي أشار إلى اهتمام تلك السلطات بإعمار الميناء حتى أنه رافق جماعة من المعماريين إليها وكانوا محملين بأعداد ضخمة من خشب الجميز الثقيل ومعهم أمراء من" قلعة المويلح " ومندوب عن والى مصر لإعمار آبارها[57] وذكر أن أهلها في عزة ومنعة في ظل قلعتها القوية العامرة[58] ويؤكد ذلك على ما سبق الإشارة إليه من أن المويلح كانت قد ارتبطت بشكل كبير سياسيا و اقتصاديا بمصر على حسب إشارات الرحالة[59] فقد كان على مندوب السلطان العثماني في مصر أن يبذل قصارى جهده لتوفير كل ما يلزم لراحة الحجاج المارين على هذه المنطقة[60] أما جورجفالين والذي زار المويلح في القرنالثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي فيقول عنها "..... المويلح

بلدة من أعمال حكومة مصر ومن أهم الأماكن على طريق حجاجها إلي الحجاز وفيها قلعة وبعض منازل من حجر ويحرس القلعة جنود مصريون ويسكن المنازل ضباط الحامية وأتباعهم أما السكان الآخرون فيكتفون بأكواخ مؤقتة تدعى "بكاكير" مصنوعة من الجريد و مسقوفة بالخوص .ويقدر عدد أفراد الحامية بأربعين شخصا بينما يذكر موريس تاميزييه أحد الرحالة الأوربيين والذي زار القلعة مصاحبا لركب الحجيج المصري سنة 1249 هـ/1833 م أن عدد الحامية بها كان حوالي 50 رجلا[61] ويحكي لنا محمد صادق باشا حال القلعة عام 1297 هـ/ 1880 م يقول "....أنها قلعة حصينة بها جامع ومخازن ومحافظ و 23 عسكرياً يتبعهم أربعون في محطة سلمى و كفافة والقلعة مبنية حصينة أنشأها السلطان سليم العثماني طولها مائة متر في عرض ثمانين وفي أركانها الأربعة بروج قطر الواحد منها عشرة أمتار وطول حوش القلعة 83متراً في عرض 62 متراً و بها مدفع من النحاس مستعمل وسبعة من الحديد غير صالحة للاستعمال و بها بئر قيسوني الماء عمقها أحد عشر متراً وفي خارج القلعة آبار متعددة ونخيل بكثرة ومساكن إلا بيتين أو ثلاثة ومخازن لتجارة الفحم والحطب والسمن والعسل ويزرع هناك بعض خضروات وأهلها نحو 100 شخص خلاف العربان والحّمى متسلطة على سكانها دائماً وكذا داء الطحال وسبب ذلك اقتياتهم بالبلح قبل استوائه وبعده طوال العام لفقد ما يقتاتون به غيره !لأن الحنطة عندهم عزيزة جداً ولجميعهم من نساء ورجال اعتقاد قوي في الزار الذي عمت به البلوى في سائر الأمصار ويحكون في ذلك حكايات ما هي إلا خرافات..."[62].

خاتمة: وفي ختام هذا البحث خرجنا بمجموعة من النتائج من بينها:

– مثلت المويلح محطة مهمة على الطريق الساحلي لركب الحج المصري والمغربي إلى بلاد الحجاز.

– تمتعت المويلح بالعديد من مقومات الحياة مثل اهتمام السلطات الحاكمة بها وبعمارتها وتوفير حاميات فيهابالإضافة إلى ووجود المياه بها، وعلى الطرق المؤدية إليها ،مما كان سبباً في كونها مقصدا للحجاج في طريقهم.

– تنوع النشاط الاقتصادي لسكان المويلح مابين الصيد والزراعة والتجارة حيث مثلت التجارة النشاط الرئيسي لسكانها، وما جاورهم من أعراب البادية.

– كانت المويلح محطة تجارية هامة بالنسبة للحجيج لما يتوفر لهم بها من تجارات تسد ما لديهم من نقص وتوفر لهم بعض من نفقات الحج بما كانوا يتاجرون به في أسواقها ، فإن حدث ولم تتم تجارتهم بها لأي من الأسباب مثل ذلك لهم عنت شديد.

– مثل قدوم ركب الحج المصري والمغربي حدثا اقتصاديا هاما بالنسبة لسكان المويلح وما جاورها من مناطق ، نظرا لما كان يحمله معه من بضائع تسد حاجات السكان وتعوض نقص السلع والمؤن لديهم وخاصة الحنطة.

– لم يقتصر وجود التجار الذين يتاجرون مع ركب الحج في المويلح على التجار المسلمين فقط بل كان هناك ظهور واضح للعديد من التجار النصارى الذي مثل موسم الحج لهم موسما تجاريا هاما.

– على الرغم مما اشتهر عن المويلح من ملوحة مائها حتى إن ذلك كان سببا في تسميتها إلا أن شهادات الرحالة أشارت إلى تمتعها بالماء العذب، ويرجع هذا التباين في الرأي إلى تذبذب مياه المطر من عام إلى أخر مما يؤثر على عذوبة المياه.

– المكانة المتميزة للمويلح على طريق الحج كانت سبباً في ازدهارها العمراني المطرد ،وهذا ما أشار إليه من زارها من الرحالة عام بعد عام.

– ضم سكان المويلح العديد من العناصر– مثلها في ذلك مثل معظم الموانئ والمدن الساحلية– فكان هناك الأعراب والمغاربة ، و النصارى من طور مصر، والعسكر من أفراد الحامية العثمانية ، وبعض الشوام الذين استقروا بها.

– كانت الحامية الأمنية الموجودة بالمويلح ، وما وفرته من تأمين لركب الحجيج ضد اللصوص وقطاع الطرق من أهم الأسباب التي كانت وراء ازدهارها كمحطة هامة ومقصدا في حد ذاته على طريق الحج.

– مثلت المويلح مقصدا للتجار الأعراب والتجار من مصر خاصة منطقة الطور وكذلك التجار الشوام ، خاصة مع العفو الجمركي الذي تميزيه ميناؤها.

– على الرغم من قلة أسواقها والتي حددها من زارها من الرحالة في سوق واحد إلا أنه توافرت به كل المقومات الداعمة لقيام النشاط التجاري ،من توافر الأمن ، ووفرة المواد التجارية ،ورخص الأسعار نظرا لزيادة المعروض من السلع.

– هناك مجموعة من العوامل التي كانت تحدد الأسعار في سوق المويلح منها كمية البضائع المعروضة والتي تتوقف على أساس عدد التجار المتوجهين إليها سواء من الأعراب المجاورين لها ،أو ممن يرافق ركب الحجيج لأجل التجارة، أو تجار الشام الذين يقصدونها في موسم الحج ، وكذلك كمية المطر، والتي تؤثر في المزروعات وتربية الحيوانات وبالتالي المواد المعروضة من كل منهما.

– ارتبطت المويلح سياسياً واقتصاديا بمصر سواء أكان ذلك في فترة حكم المماليك أو في فترة حكم الدولة العثمانية، يشير إلى ذلك ما ذكره الرحالة عن بناء قلعتها وأن المعماريين وأدوات ومواد البناء نقلت إليها من مصر يرافقها والي مصر شخصياً.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- أبو سالم العياشي، ماء الموائد، الطبعة الحجرية الفاسية، 1898 .
- أبو مدين (محمد الحنفي أبي بكر): الرحلة الحجازية ، دار الخليل القاسمي للنشر، د.ت .
ابن حوقل : صورة الأرض،دار صادر بيروت 1989.
- البكري (عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجممن أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ،عالم الكتب بيروت،1996 ،
- الجزيري (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري) : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى، منشورات دار اليمامة، الرياض 1403هـ / 1983م
- الحافظ (ابن حجر): إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي ،المجلس العلى للشئون الاسلامية،1998.
- الحضيكي(أبو عبد الله محمد بن أحمد) : الرحلة الحجازية ، تحقيق عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات وإحياء التراث ،ط1 2011.
- الدرعي (أحمد بن محمد بن ناصر): الرحلة الناصرية، نشرا لمطبعة الحجرية فاس 1320هـ .
- الزيادي (أبو محمد عبد المجيد) : بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام ، مخطوطة رقم 398ك.
- الرافعي (محمد بن علي الرافعي التطواني): المعارج المرقية في الرحلة المشرقية مخطوطة الداودية بتطوان، رقم 134.
- العمري (بن فضل الله العمري): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق كامل سلمان البوري، المجمع الثقافي أبو ظبي ،2002. العياشي (أبى سالم عبد الله) : الرحلة

العياشي، تحقيق وتقديم سعيد ألفاضلي و سليمان القرشي ، دار السويدي،ط1 2006 .

– الغنامي(عبد الرحمن الغنامي الشاوي) : رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 5656.

– القيسي (أبو عبد الله أحمد): أنس الساري والساربمن أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، طبع مطبعة محمد الخامس 1970.

– النابلسي(عبد الغني بن إسماعيل) : الحقيقة والمجاز ، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 .

– الورثيلاني (الحسين بن محمد): الرحلة الورثيلانية ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،2003.

– اليوسي (أبو على اليوسي): رحلة اليوسي، مخطوطة منشورة بمركز ودود للمخطوطات بالإنترنت.

ثانياً: المراجع العربية

– حياة ألكلابي : الآثار الاسلامية ببلدة بدا ، الهيئة العامة للسياحة والآثار الرياض ،2010.

– عاتق البلادي :معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر 1979.

– علي غبان :الآثار الاسلامية في شمال غرب المملكة، دار اليمامة الرياض ، ط1 ،1993.

ثالثاً: المراجع المعربة

- لويس موسل: شمال الحجاز،ترجمة عبد المحسن الحسيني، مكتبة الثقافة الجامعية، الرياض،1992 .

- موريس تاميزييه : رحلة في بلاد العرب، ترجمة وتعليق محمد بن عبد الله آل زلفه دار التنوير للنشر 1986.

رابعاً :المراجع الأجنبية

j.rwellsted: travels in Arabia ,london,1882.

خامساً: الرسائل العلمية

. آمنة حسين محمد علي جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، 1407هـ.

الإحالات والهوامش:

[1] علي غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، دار اليمامة الرياض، ط1 ،1993، ص209.

[2] لمزيد من المعلومات عن بلدة بدا ينظر: حياة ألكلابي: الآثار الإسلامية ببلدة بدا ، الهيئة العامة للسياحة والآثار الرياض، 2010، ص45.

[3] العياشي (أبي سالم عبد الله) : الرحلة العياشي، تحقيق وتقديم سعيد ألفاضلي و سليمان القرشي ،ط1 2006 دار السويدي، ص178 .

[4] علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص 239 – 240.

[5] العمري (بن فضل الله العمري): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان البوري، المجمع الثقافي أبو ظبي، ص54.

[6] الجزيري (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري): درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى، 1403هـ. 1983م، منشورات دار اليمامة، الرياض، ج2، ص1303.1427.

[7] البكري (عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ،عالم الكتب بيروت ،ج3، ص245.

[8] كان ركب الحج المصري عادة ما يخرج في الثالث والعشرين من شوال يتبعه الركب المغربي في السابع والعشرين والركب المغربي كان يضم الركب الفاسي والسنوسي بالإضافة إلي ركب الجزائر وما والاها شرقا وقد رصد بعض الرحالة من أمثال الريادي وأبو مدين انفصال الركب السوسي والركب الفاسي عن الركب المغربي والتحاقهم بالركب المصري في بعض الفترات في القرن العاشر والحادي عشر الهجري. أبو مدين (محمد الحنفي أبي بكر): الرحلة الحجازية ، دار الخليل القاسمي للنشر،ص208؛ الزيادي (أبو محمد عبد المجيد): بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام ، مخطوطة رقم 398ك، ص76.

[9] آمنة حسين محمد علي جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، 1407هـ، ص165 .

[10] علي غبان: المرجع السابق، ص165.

[11] وهذا ما ذكره ورصده الرحالة المغاربة عند حديثهم مثلا عن منطقة عيون القصب حيث ذكروا كيف أن سكانه لديهم نشاطهم الاقتصادي من الزراعة والتجارة فكان الركب يعبر بمنطقتهم في أمان مما يؤكد أن الأعراب متى توفرت لهم سبل العيش الكريم فلا حاجة لهم بالسلب أو قطع الطريق . عواطف بنت محمد بن يوسف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين الرياض 1996، ص260.

[12] ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ص55 .

[13] لويس موسل: شمال الحجاز، ترجمة عبد المحسن الحسيني، مكتبة الثقافة الجامعية، الرياض، ص89.

[14] القيسي (أبو عبد الله أحمد): أنس الساري والسارمن أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، طبع مطبعة محمد الخامس 1970، ص214.

[15] ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ص56.

[16] j.rwellsted: travels in Arabia,1882,p143

[17] الجزيري: المصدر السابق، ج2، ص166.

[18] العياشي: الرحلة العياشي، ص180 ؛ الدرعي (أحمد بن محمد بن ناصر): الرحلة الناصرية، نشرا لمطبعة الحجرية فاس 1320هـ ،ص166.

[19] اليوسي: رحلة اليوسي،ص85؛ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط1 1981م، ص104.144.

[20] j.rwellsted: travels in Arabia,p143

[21] أبو مدين : المصدر السابق، ص138.

[22] لم يذكر ذلك سوى الجزيري، في حين أشاد معظم من مروا بها من الرحالة المغاربة بكثرة ماءها وعذوبته . الجزيري : الدرر الفرائد ،ج2، ص166؛ اليوسي : رحلة اليوسي ،ص75؛ الدرعي : الرحلة الناصرية، ج1 ،ص165؛ الغنامي : المصدر السابق، ص35.

[23] القيسي: المصدر السابق، ص76.

[24] الحضيكي : المصدر السابق، ص43.

[25] الدرعي: المصدر السابق، ص167 ؛ الجزيري: المصدر السابق، ج2،ص265.

[26] على إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص209.

[27] الجزيري : المصدر السابق، ص168.

[28] j.rwellsted: travels in Arabia ,p143 ، موريس تاميزييه : رحلة في بلاد العرب، ترجمة وتعليق محمد بن عبد الله آل زلفه دار التنوير للنشر 1986،ص176.

[29] الجزيري: المصدر السابق، ج2، ص156،158،161.

[30] j.rwellsted: travels in Arabia ,p143

[31] القيسي : المصدر السابق، ص78. في حين أن الجرزي قد أشار في رحلته إشارات منبها للحجاج لكثرة السراق بالمويلح خصوصا ليلا وبشكل خاص عند العودة لكثرة مابها من محاطب شجر .ويبدو أن ذلك قبل بناء قلعتها في القرن العاشر الميلادي الذي كان الجرزي شاهد عيان على بنائها وتزويده بالمدافع والقوة العسكرية لحماية الحجاج بناء على توجيهات والي مصر العثماني . الجزيري : المصدر السابق، ج2 ،ص144.

[32] اليوسي (أبو على اليوسي): رحلة اليوسي، مخطوطة مركز ودود للمخطوطات بالإنترنت، ص18.

[33] عاتق البلادي :معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر 1979،ج7، ص126.

[34] الجزيري : المصدر السابق، ص196.

[35] نفسه: ص198.

[36] الجزيري : المصدر السابق، ص 199.؛ الحضيكي(أبو عبد الله محمد بن أحمد) : الرحلة الحجازية ، تحقيق عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات وإحياء التراث ،ط1 2011،ص48.

[37] الغنامي(عبد الرحمن الغنامي الشاوي) : رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوطة بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم 5656 ،ص9.

[38] الدرعي : المصدر السابق، ج1،ص166،164.

[39] العياشي (أبو سالم العياشي): ماء الموائد، الطبعة الحجرية الفاسية، 1898، ج 1، ص 17.

[40] الرافعي (محمد بن علي الرافعي التطواني): المعارج المرقية في الرحلة المشرقية مخطوطة الداودية بتطوان، رقم 134،ص36.

[41] الحافظ (ابن حجر): إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي ،المجلس العلى للشئون الاسلامية،1998 ،ص201 ؛عواطف نواب: الرحلات المغربية مصدر من مصادر دراسة تاريخ الحجاز ،ص249.

[42] ويصف ابن حوقل من القرن الرابع الهجري محطات درب الحج المصري والمغربي على هذا النحو الذي استمر إلى القرن الثالث عشر الهجري طريق مصر من الفسطاط إلى الجب ومن الجب إلى الحفر

ومن الحفر إلى البويب ومن البويب إلى منزل أم سعد ومن منزل أم سعد إلى عجرود ومن عجرود إلى القلزم ومن القلزم إلى الكرسي ومنها إلى الحفر ومنها إلى نخل ومنها إلى آيلة ومنها يفترق طريق الساحل والبرية فطريق البرية من آيلة إلى شرف البعل ومنها إلى مدين ومنها إلى فالس ومنها إلى الأغر ومنها إلى الكلابية ومنها إلى بدا ومنها إلى شغب ومنها إلى السرحتين ومنها إلى السقيا وبها يلتقي طريق الشام ومصر.طريق الساحل:من آيلة إلى عينونا ومن عينونا إلى المصلى ومن المصلى إلى النبك ومن النبك إلى ظبة ومن ظبة إلى المرة ومن المرة إلى عونيد ومن عونيد إلى الوجه ومن الوجه إلى منخوس ومن المنخوس إلى الحوراء ومن الحوراء إلى قصيبة ومن قصيبة إلى البحرة ومن البحرة إلى ينبع ومن ينبع إلى ؟ومن ؟ إلى الجار ومن الجار إلى المدينة...الخ. ابن حوقل : صورة الأرض،دار صادر بيروت 1988،ص167،177

[43] القيسي : المصدر السابق، ص127

[44] الحضيكي : المصدر السابق، ص23-25.

[45] أبو مدين : المصدر السابق، ص175.

[46] الدرعي: المصدر السابق، ج2 ،ص167 ؛العياشي : المصدر السابق، ص180.

[47] j.rwellsted: travels in Arabia ,p143

[48] البكري : المصدر السابق، ص243 .

[49] الزيادي : المصدر السابق، ص64.

[50] الناصري : المصدر السابق، ص167.

[51] j.rwellsted: travels in Arabia ,p143 (51)

[52] البكري : المصدر السابق، ص254.

[53] ابن البسام : المصدر السابق، ص101.

[54] علي إبراهيم غبان: المرجع السابق، ص 239 - 240.

[55] الجزيري : المصدر السابق، ص166.

[56] الورثيلاني (الحسين بن محمد): الرحلة الورثيلانية ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،2003، ص 370.

[57] النابلسي(عبد الغني بن إسماعيل) : الحقيقة والمجاز ، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 ،ص296.

[58] النابلسي : المصدر السابق، ص302.

[59] عواطف نواب: المرجع السابق، 278.

[60] موريس تاميزييه : المرجع السابق، ص176.

[61] نفسه: ص177.

[62] أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 45.